

## عشر حقائق مصرية حول الأزمة الليبية

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري



المحدد الرابع: التدخل باستدعاء لبيبي في المقام الأول، ومن خلال البرلمان، وهو الجسم المنتخب الوحيد من الشعب على الساحة الليبية، في حين التشدد التركي بان التدخل جاء باستدعاء من حكومة الوفاق في طرابلس تنقذه الشرعية القانونية، فاتفق الصخيرات انبثقت عنه الحكومة الحالية ومجلسها الرئاسي وهما يفتقدان للشرعية، لأن مدتهما انتهت رسمياً، ولم يحصلوا على موافقة البرلمان حتى الآن، على الرغم من مضي نحو خمس سنوات عليها.

المحدد الخامس: سرت والجفرة خط أحمر، فاي تقدم من قبل عناصر الوفاق المدعومة من المرتزقة والمطرفين والعصابات المسلحة، سيواجه برد مصري مبكر. وهذه أول رسالة رسمية لتركيا، التي ردد عدد من المسؤولين فيها كلاماً يفيد بالقدّم نحو سرت وما بعدها والسيطرة على ثرواتها، فمصر وليست روسيا كما راج مؤخراً، ستتصدى لمن تسول لهم أنفسهم التقدم نحو شرق ليبيا، وخط وقف إطلاق النار منذ إعلان القاهرة، هو الذي يرسم خط الهدنة الضمني.

المحدد السادس: تكاتف القبائل الليبية الممتدة مع مصر خطوة مهمة لتحرير ليبيا، في إشارة واضحة بأن أنقرة تحتمى بمرتزقة وتدعم إرهابيين، بينما تتقدم القاهرة وهي مؤيدة من فئة وطنية مهمة في المعادلة السياسية والأمنية والاجتماعية، وهذا التكاتف كفيلاً بأن يكشف حجم نفوذ مصر وتركيا في ليبيا، وإذا كان البعض تحدث عن بضعة آلاف لهم جنود تركية في مصراتة أو غيرها، فالروابط الاجتماعية بين المصريين والليبيين وروادفهما باقية في البلدين حتى الآن، وتعد بالماليين.



كلام عبدالفتاح السيسي

عندما أشار إلى التدخل العسكري ربطه بمجموعة من الضوابط الغرض منها توضيح أن هذا الخيار لم يأت من منطلق الرفاهية وبات أقرب من أي وقت مضى

المحدد السابع: وحدة أراضي ليبيا والحفاظ على استقرارها عملية رئيسية في التحركات المصرية عبر التاريخ، ومن يريدون وضع قواعد عسكرية ونشر المتطرفين، وتعبيد الطريق لتدقق المرتزقة يعملون على تفتيت وحدة الدولة التي تهدد مصالحهم، وهذا منطلق قطاع الطرق والجماعات الإرهابية والطامعين في الثروة والسلطة، حيث لا تستقيم الوحدة والأمن والاستقرار مع أهداف هؤلاء، والتي تتغذى على الفوضى والانفلات.

المحدد الثامن: ثروة ليبيا يجب أن تكون ملكاً لشعبها، ولا يحق لتركيا أو غيرها السطو عليها ونهبها، أو صرف جزء كبير منها على جلب المرتزقة وتمويل الإرهابيين، وتؤكد تجربة المصرف المركزي الليبي عدم التوزيع العادل للمداخيل المالية بين الشرق والغرب والجنوب، والإنفاق ببذخ على عمليات غير قانونية، وبول الميزانيات باهظة تحت تصرف بعض الأشخاص.

المحدد التاسع: القضاء على فكرة تمركز الإرهابيين وتوابعهم، لأن وجود بؤر لهؤلاء يجعل الأمن بعيداً عن التحقق في ليبيا، وبول الجوار، شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ومن الضروري العمل على استئصال شافتهم قبل أن يتحولوا إلى بركان غضب قابل للانفجار، ويخلط الأوراق، بما يفرض مزيد من الصراعات.

المحدد العاشر: التعامل مع جميع الفراء الليبيين بلا تصنيفات أيديولوجية. نعم كان هناك انحياز مصري للجيش الوطني المتمركز في الشرق، لكنه جاء ضمن رغبة في توحيد المؤسسة العسكرية النظامية، وسط جيوش الميليشيات والإرهابيين، وهذا لم يمنح الحوار الجاد مع الكثير من القوى الوطنية في الغرب والشرق.

أثار الخطاب الذي القاه الرئيس المصري، عبدالفتاح السيسي، وسط عدد من القيادات العسكرية، بحضور بعض مشايخ القبائل الليبية، الكثير من التساؤلات والتفسيرات حول موقف القاهرة من الأزمة الليبية. ويصرف النظر عن اطمأنوا وارتاحوا لمحتواه ورسائله، ومن قلقوا وغضبوا من إشارات، فهو وضع الكثير من النقاط على الحروف حيال التدخل العسكري، لأن الزمان والمكان كانت لهما دلالات لدى من يهمهم الأمر. كنت ضيفاً على قناة العربية - الحدث، مساء السبت، وسألني المذيع محمود الوروي، عما كتبت به بشأن ترجيحي عدم تدخل مصر عسكرياً في ليبيا بجريدة "العرب" من قبل، على ضوء تصريحات السيسي. لم أنكر ما كتبت منذ أشهر، ولا زلت اعتر به، لأنه في الوقت الذي كان كثيرون يشيرون فيه إلى اقتراب القاهرة من الخيار العسكري، استبعدته بناء على معطيات مختلفة.

تمحورت إجابتي حول نقطتين، الأولى أن الكتابة الصحافية مرتبطة بالأحداث اليومية والأجواء السياسية التي تحيط بها، والتحليل يأتي من رحمها، أو من قدرة الصحافي الحصول على معلومات تثبت أو تنفي، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك نية فعلاً للتدخل مباشرة، إلا إذا كان هناك اعتداء على الأمن القومي المصري، وهنا تسقط الممانعات والكثير من الحسابات، وهذا لم يحدث طوال الأشهر الماضية.

النقطة الثانية، أن كلام السيسي، عندما أشار إلى التدخل العسكري، ربطه بمجموعة من الضوابط الغرض منها توضيح أن هذا الخيار لم يأت من منطلق الرفاهية، وبات أقرب من أي وقت مضى، في ظل تمادي تركيا في انتهاكاتها ورغبتها في التمدد شرقاً نحو سرت وجنوباً نحو الجفرة، وتغيير معالم الجغرافيا والتاريخ والأمن والاقتصاد والسياسة.

لتكون الرؤية أكثر وضوحاً، يمكن تلخيص الموقف المصري من ليبيا في عشر محددات، لأن حديث السيسي، يوم السبت، فتح الباب لشجون وترحيب ومباركة، ولهموم وشغب وتراشق وتناول، أكثر مما هو معتاد. حيث أراد انصار الفريق الأول التعبير عن غيظهم، واعتبروا الكلمات الحادة رسالة لتخليص الليبيين من مشكلة المرتزقة والمليشيات الذين تحضنهم تركيا، وحاول مؤيدو الفريق الآخر التقليل من أهمية الخطاب كنوع من الخيبة والقلق أيضاً.

المحدد الأول: منح عملية تسوية الأزمة سياسياً أولوية قصوى، في إطار مخرجات مؤتمر برلين، ورعاية الأمم المتحدة، ما أكد عليه إعلان القاهرة في 6 يونيو الجاري، ولا يزال هذا الطريق مفتوحاً، كطوق النجاة للشعب الليبي، ودونه سوف يظل المتطرفون يمحرون في طرابلس، لذلك يعمل هؤلاء ومن يقفون خلفهم في الداخل والخارج على عرقلة أي مبادرة، واصطناع الأسباب التي تؤدي لتفتيتها.

المحدد الثاني: العمل العسكري موضوع على الطاولة، في حالة تعرض الأمن المصري لضرر يفرض التدخل، وهناك جاهزية عالية للتعامل مع المفاجآت. ولعل مشاهد الطائرات والمجزرات والوحدات الخاصة، بالقرب من الحدود الغربية، تعزز هذا الاتجاه. كل ذلك في إطار من احترام الشرعية الدولية، وعدم استباحة أراضي الدول الأخرى لتحقيق أطماع معينة، أو رسم خرائط جديدة.

المحدد الثالث: قوة مصر رشيدة، ولا ترضى القيام بغزوات على غرار ما تقوم به تركيا في كل من سوريا والعراق وليبيا، والرشد حكمة وقوة، وليست ضعفاً أو تردداً، فمهما بلغ الجيش المصري من تقدم في تصنيفه العالمي لن يستثمر في قهر آخرين، أو يخضع لاستقزازات من هنا وهناك، فالضوابط التي يعتمد عليها تجعله جيشاً مصرياً وعربياً في المقام الأول، هدفه الدفاع والردع، والهجوم عند اللزوم.



## رهان عربي على مصر.. من ليبيا

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني



أمجاد الإمبراطورية العثمانية، وهو حلم أقرب إلى الوهم من أي شيء آخر. استطاع الرئيس التركي إعادة ترتيب أوراقه، بما في ذلك العلاقة مع واشنطن حيث هناك تعاطف معه، خصوصاً في البيت الأبيض. كذلك، ظهرت حاجة روسية إليه في ضوء الصعوبات التي تواجه الرئيس فلاديمير بوتين في سوريا. في أساس هذه الصعوبات العجز عن الانتكاح على فعالية القوات التي لا تزال بإمرة بشار الأسد من جهة والشعور الدائم بالريبة حيال الدور الإيراني القائم على الاستثمار في إثارة الغرائز المذهبية من جهة أخرى. فوق ذلك كله، ليس أمام روسيا من خيار آخر غير أن تأخذ في الاعتبار مصالح إسرائيل وتوجهاتها، خصوصاً في ما يتعلق بمستقبل الوجود الإيراني في سوريا. لا يمكن تجاهل أن في استطاعة

سيظل التحدي الأكبر قدرة مصر على إعادة بعض التوازن إلى المنطقة العربية في ظل ما سمته جامعة الدول العربية «تنفراً» على العرب وتمارسه تركيا وإيران وإثيوبيا

فرنسا وإيطاليا. من بين أوراق مصر الاختلافات التركية - الروسية التي في أساسها مبالغت رجب طيب أردوغان. هناك أيضاً الدعم الفرنسي ودعم اليونان وقبرص والمعنيتين مباشرة بالحد من الدور التركي الذي فرض اتفاقاً للحدود البحرية مع حكومة الوفاق في طرابلس، وهو اتفاق يمس المصالح اليونانية والقبرصية. الأهم من ذلك كله أن مصر، التي أنقذت نفسها من براثن الإخوان المسلمين في مثل هذه الأيام من العام 2013، تجد نفسها مجبرة على لعب دور في مجال التصدي للمشروع التركي الذي يهددها والمستوحى من فكر أردوغان ومن تجربة المشروع التوسعي الإيراني. مثل هذا التصدي يتطلب مزيداً من التنسيق مع السودان الذي يعتمد أيضاً على مياه النيل والذي سيتضرر أيضاً من سد النهضة.

إضافة إلى ذلك كله، تستطيع مصر لعب دور فعال في مجال منع تركيا من تطويقها من مكان آخر قريب منها. هذا المكان هو قطاع غزة الذي تسيطر عليه حركة "حماس" التي هي جزء لا يتجزأ من التنظيم العالمي للإخوان المسلمين. الطبيعي أن تكون غزة ملعباً مصرياً وليس ملعباً تركيا وإيرانياً كما الحال الآن. ما هو أكثر من طبيعي، أن يكون القطاع منطقة نفوذ مصرية وليس "ساحة" تحدّ فيها مؤامرات ذات طابع إرهابي على مصر وأمنها الوطني ودورها الإقليمي المفترض.

ثمة دعم عربي لمصر في مواجهة التحديات التركية التي شملت التدخل في اليمن وإقامة مناطق نفوذ لها في الصومال. هناك أيضاً رهان على مصر. كان لتركيا في مرحلة معينة وجود في السودان الذي كان أيضاً مكاناً تتحرك فيه إيران في عهد عمر حسن البشير غير المأسوف عليه.

سيظل التحدي الأكبر قدرة مصر على إعادة بعض التوازن إلى المنطقة العربية في ظل ما سمته جامعة الدول العربية «تنفراً» على العرب وتمارسه تركيا وإيران وإثيوبيا. الأكد أن ذلك سيعني دوراً مصرياً مختلفاً في المنطقة، خصوصاً في ليبيا وما هو أبعد من ليبيا. المهمة في سياق هذا الدور وفي إطاره الابتعاد المصري عن أي أوامم بالنسبة إلى مستقبل النظام السوري الذي لم يعد لديه من دور يذكر غير الانتهاء من تفتيت سوريا لا أكثر..



لم يكن أمام الرئيس عبدالفتاح السيسي من خيار آخر غير التكتيش عن الأنياب المصرية. هناك تهديدان مباشرين تتعرض لهما مصر أولهما ليبيا وثانيهما سد النهضة الذي تبنيه إثيوبيا. أن تسيطر تركيا على معظم ليبيا مع ترك مناطق صغيرة لنفوذ القوات التي يقودها خليفة حفتر هو نهاية للدور المصري في الإقليم. أن تستمر إثيوبيا في بناء سد النهضة بغية الحصول على ما تريده من مياه النيل، من دون أن تأخذ في الاعتبار مصالح القاهرة، هو بمثابة اعتداء مباشر على ما يُعتبر شريان الحياة بالنسبة إلى مصر.

حصل استضعاف لمصر. أدى ذلك إلى تجرؤ تركي على الذهاب إلى ليبيا عسكرياً. استطاعت تركيا مستعينة بأسلحة متطورة، بما في ذلك طائرات من دون طيار، لإحراق سلسلة من الهزائم بالقوات التي في إمرة حفتر. هذا واقع لا يمكن تجاهله بعد النجاح التركي في فك حصار الجيش الليبي لطرابلس.

هناك نية تركية واضحة في الذهاب إلى أبعد من طرابلس ومحيطها وصولاً إلى سرت ذات الموقع الاستراتيجي. لم تتردد تركيا في الاستعانة بمرتزقة سوريين أجبرت معظمهم على القتال في ليبيا في سياق حملتها العسكرية.

من الواضح أن الرئيس رجب طيب أردوغان استطاع في الفترة الأخيرة لعب أوراقه بطريقة جيدة مستفيداً من الغطاء الأمريكي من جهة، ومن كون تركيا عضواً في حلف شمال الأطلسي (ناتو) من جهة أخرى. لعل أكثر ما استفاد منه أردوغان تراجع المشروع التوسعي الإيراني، وهو تراجع جعل طهران في حاجة إلى أنقرة لأسباب عدة بينها نتيجة العقوبات الأميركية.

لم يعد في استطاعة مصر تجاهل هذا الواقع في وقت تجاوز الدور التركي، المستفيد من الدعم المالي القطري، ليبيا. في حال استمر التقدم التركي في ليبيا بالاعتماد الواضح على قوى معينة بينها ميليشيات محسوبة على الإخوان المسلمين، لن يعود بعيداً اليوم الذي تصبح فيه تركيا، ومن خلفها الإخوان، على الحدود المصرية.

إلى إشعار آخر، تمثل تركيا الإخوان المسلمين ولا يمكن وضع رجب طيب أردوغان خارج الإطار الإخواني. لا وجود لشك بأن تركيا حققت مكاسب في سوريا. يبدو أن ذلك ليس كافياً بالنسبة إلى أردوغان الذي يعيش في وهم حلم استعادة

مصر اللعب على وجود اختلافات تركية - روسية كان أفضل تعبير عنها إلغاء الزيارة التي كان مفترضا أن يقوم بها لأنقرة قبل أيام وزير الخارجية والدفاع الروسيان سيرغي لافروف وسيرغي شويغو. تشير معلومات رشحت عن سبب إلغاء الزيارة في اللحظة الأخيرة، أو تأجيلها، إلى مطالب تركية معينة في سوريا وليبيا ليس في استطاعة روسيا الموافقة عليها. من الإيجابيات أن الرئيس المصري قال كلاماً موزوناً يستند إلى معرفته بقدرات مصر ورغبتها في تفادي المبالغت والمغامرات العسكرية من نوع تلك التي شهدتها أيام جمال عبدالناصر. تحدث السيسي عن أهمية الجيش المصري وقدراته، لكنه شدّد على دوره "الدفاعي". في نهاية المطاف، في حال تدخلت مصر في ليبيا ومنعت تركيا من الوصول إلى سرت، فهي تدافع عن نفسها قبل أي شيء آخر. لدى مصر أوقاها، مثلما أن لدى تركيا أوقاها. من أوراق تركيا المال القطري ودعم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين لها وكونها عضواً في الناتو، فضلاً عن الغطاء الأميركي والانقسام الأوروبي في شأن ليبيا، خصوصاً بين